عباس رضي الله تعالى عنهما وروي عن علي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم
وأديم الأرض ظاهر وجهها والأدمة السمرة وهو مراد من قال اللون يقارب
السواد ومن قال يشبه التراب واستشكل بما ورد من براعة جماله
وأن يوسف صلى الله عليهما وسلم كان على الثلث من جماله وقد يجاب بأن الجمال
لا ينافي السمرة لأنها بين البياض والحمرة قيل اشتقاقه مما ذكر يؤيد
القول بأنه عربي وبه صرح الجوهري وغيره ورد بأن توافق اللغتين
غير منكر وبأنه لا دليل على أن الاشتقاق من خواص كلام العرب وأجيب
بأن الأصل عدم التوافق وبأن الوجه أن الاشتقاق خاص بكلام العرب
فقد اتفقوا على التوافق بين الألفاظ العربي والعجمي بحسب الاشتقاق
وصح خبر أن آدم كان يتكلم بكل لسان ولكن الغالب أنه كان يتكلم
بالسرياني الأسماء مبتدأ مؤخر جمع اسم وهو هنا ما دل على
معنى فيشمل الفعل والحرف أيضا واحتاج الناظم إلى هذا التفصيل مع العلم
به مما قبله لأن آدم ميزه الله تعالى على الملائكة بالعلوم التي علمها
له وكان سببا لأمرهم بالسجود والخضوع له بعد استعلائهم عليه
بذمه ومدحهم بقولهم أتجعل فيها الخ فربما يتوهم أن هذه المرتبة
الباهرة لم تحصل لنبينا صلى الله عليه وسلم إذ قد يوجد في المفضول ما
ليس في الفاضل فرد ذلك التوهم ببيان أن آدم لم يحصل له من العلوم إلا مجرد
العلم بأسمائها وأن الحاصل لنبينا صلى الله عليه وسلم هو العلم بحقائقها
ومسمياتها ولا ريب أن العلم بهذا أعلى وأجل من العلم بمجرد أسمائها لأنها

إنما

إنما يؤتى بها للتبيين المسميات فهي المقصودة بالذات وتلك بالوسيلة
وشتان ما بينهما ونظير ذلك أن المقصود من خلق آدم صلى الله عليه
وسلم إنما هو خلق نبينا صلى الله عليه وسلم من صلبه فهو المقصود
بطريق الذات وآدم بطريق الوسيلة ومن ثم قال بعض المحققين
إنما سجد الملائكة لأجل نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي في جبينه
ثم ما سلكه الناظم من أن آدم إنما علم أي بإحدى الطرق السابقة
آنفا الأسماء فقط أي الألفاظ الموضوعة بإزاء الأعيان والمعاني هو
الوارد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعليه فقيل علم الأسماء الموضوعة
لكل لغة وعلمها أولاده فلما افترقوا في البلاد وكثروا اقتصر
كل قوم على لغة وهذا يقوي ما هو الأصح في الأصول أن اللغات كلها
توقيفية وقيل إنما علم لغة واحدة لأن الحاجة لم تدع إلا إليها وأما
بقية اللغات فبالوضع ومقابل ما سلكه الناظم قولان أحدهما
أنه علم مدلولاتها لأن المزية في العلم إنما تحصل بمعرفة مقاصد
المخلوقات ومنافعها لا بمعرفة أسمائها كذا وكذا قال بعض
المحققين وهذا وإن قرب من المعنى فهو بعيد من اللفظ أي لأن قوله تعالى
بأسماء هؤلاء وما بعده ظاهر أو صريح في الأسماء فقط ومعنى ثم
عرضهم أي الأعيان لأنها التي تعرض دون الأسماء إنما أبرزت إليهم
ليخبروا بأسمائها فلا فائدة فيه لكون العلم المسميات خلافا لمن زعمه
ثانيهما وهو الذي سلكه صاحب الكشاف أنه علم الأمرين معا جمعا بين

فيه الأصح في الأصول أن اللغات كلها توقيفية فيه

Copyright © King Saud University